حدثني يا أبي

تأليف : كامل العبد الله

نشر : بيت الحكمة (بيروت ١٩٦٦) ـ ١٨٦ ص.

***

الادب التربوي الخالص هو ما تفتقده المكتبة العربية المعاصرة ، ولا سيما في لبنان . والمحاولات التي بذلت في هذا الحقل مثل : « اسمع يا رضا » لانيس فريحة ، وبعض مؤلفات رشاد دارغوث ، لم توفق الى تحقيق أغراضها ، ولا استطاعت ان تحمل المعنيين بهذا الحقل، حقل التربية ، على اخصابه من ناحية ادبية . وهكذا ، بقي الادب في ديارنا منفصلا عن التربية ، وعاش المربون عمرهم غرباء عن الحياة الادبية بحكم استغراقهم في العمل التقني الخالص الذي يمارسونه كفن ، او كوظيفة ، أو كحرفة .

والتربية غير الطب ، وغير المحاماة ، في علاقاتها بالادب ، وقدرتها على اخصابه ، وقدرته على اخصابها ، بل ان هذين : الادب والتربية يوشكان ان يكونا شيئا واحداً ، في كثير من الوجوه والحالات الفردية والاجتماعية على السواء . وذلك لان موضوعهما واحد ، وهو حياة الانسان ، وينبوعهما واحد ، وهو التجربة الانسانية ، وكلاهما يلتقي الاخر عند جملة من الافكار والمبادىء والاراء هي ما تعودنا اطلاق كلمة « فلسفة » عليه .

غير اننا هنا ، مع الاستاذ كامل العبد الله في كتابه « حدثني يا ابي » ، ازاء اثر ادبي واضح السمات ، مشرق القسمات ، ولكنه بدلا من ان يكتب فيه قصصا ، او مقالات ، او شعراً « منثوراً » ، او يضع بحثا او اطروحة ، يتناول موضوعات تربوية يستلها من واقعه ، من حياته الشخصية ، وبالتالي العامة . انها احاديث قام بها مع ابنته حول شؤون تكاد تكون فلسفية ، ويكاد الحوار فيها يجري وكأنه بين سقراط وليغورجياس ، على ما روّاه افلاطون ، فان محاورات افلاطون تشبه الى حد بعيد ، مسرحيات تكثر فيها المواقف ، وتتصادم الاذواق والطباع .

ولكن كامل العبد الله لم يكن ، حين وضع احاديثه هذه ، يتذكر افلاطون ، ولا حاول ان يقلده . وهذه الاحاديث بين اب يمارس التعليم ويحب الادب ، وابنة كثيرة الاسئلة ، متفتحة الفضول ، خرجت من بين يدي مؤلفها ، بعد ان اعمل فيها « المونتاج » ، وكأنها « مقامات تربوية » ، وضعها همذاني او حريري معاصر وكل همه فيها ، منصرف الى بيان افكاره في اطار عاطفي خاص ، ولكل مقام فيها مقال !

بيد ان هذا الهمذاني المربي ، ذو ديباجة شعرية ، فهو يقول في المقدمة ، مقدمة الكتاب ، وقد جعل عنوانها « هذه المواقف » احساسا منه بانه في مسرح حي : « لم يسع القلم اليها ، وانما هي التي سعت ، ولا جهدت الخواطر في نظم خواطرها واستلهام عوالمها ، وانما هي التي فرضت وجودها ... برزت بين يدي براعم ، وفي اللفح المحرور، ومع دوار الايام تفتحت ، وعبيرها نفحت ، فاذا السعادة انتشاء ، تخف معه الجوانح ، وتغنى به الذات ، وتتوالد لديه بواكير الاماني..».

هذا الموقف صحيح في الاساس ، أ يفي بعث المؤلف على الانشاء ووضع هذا الكتاب ، ولكن عملية « المونتاج الادبي » ـ وهي شبيهة بالمونتاج السينمائي ـ اساءت الى بساطة العرض ، وسلامة الاساس ، في أكثر الموضوعات التي عالجها المؤلف ، حتى ليبدو عليها ، في بعض الحالات ، ظل ثقيل من التكلف .

تأمل ابنة ـ لنقل في الرابعة عشرة وحتى السادسة عشرة من سنيها ـ تقول لابيها هذا القول : « ... واشهد انني ما رأيتك مرة بيننا الا وفي يدك كتاب ... او قلم » .

ولاحظ جواب الاب : « وهذا رفيق انيس كذلك يا آنس ابيك ... هو الصلة الرابطة بين الفكر والحقيقة . هو الذي ينقل بامانة خلاصة ما ينتهي اليه التأمل ، من جهد الذات المنفعلة ، وزبدة العقل في مخاض الوعي المدرك لحقائق القيم » .

انا متأكد ان مثل هذه التعبيرات لا تجري بين اب وابنته ، ولا سيما حين تكون في مستهل حداثتها ودراستها . ولا اتصور ان ابنة تقول لابيها : « ... واشهد » او ان ابا يتحدث هكذا ، من غير خوض في حديث فلسفي خالص ، عن « جهد الذات المنفعلة » و « زبدة العقل » و « مخاض الوعي » و « حقائق القيم ! » .

لقد كان حريا بالمؤلف ، ما دام قد اتخذ « المونتاج » نهجا في عرض افكاره واتجاهاته التربوية ، ان يعمل فكره في حذف الشوائب « الصبيانية » التي تخلو من كل فائدة تربوية فهو ينقل لنا مثلا ان ابنته قالت له : « ما اروع خيالك يا أبي ! تستلهم مشاهد حلوة ، لعلها هي التي ترتفع بك عن مزالق البشر ! » .

هناك مثل عربي شائع ، هو « كل فتاة بابيها معجبة ! » . وكنت افضل من كل قلبي ان يتحامى الاستاذ كامل العبد الله اعطاء «مصداق» لذلك المثل العربي ، فيما يرويه لنا عن ابنته . والمفروض فيه كمرب يكتب ليفيد الآخرون من تجاربه ، ان يقاوم هذه النزعة في كل فتاة ، او ان يغفل الاشارة اليها على الاقل ، وذكرها هنا ، بتفاصيل ما ينتج عنها ، يوحي انه « موافق » على ما تقوله ابنته ، اي على اعجابها به ، وعدم اعجابها بسائر « البشر » الذين يرتفع أبوها عن « مزالقهم » !

ولكن ، على الرغم من هذا « المونتاج » الادبي الذي يبسط ظله الثقيل على موضوعات هذا الكتاب ، ويشوه ما فيه من محاسن ولفتات بارعة في اكثر المواقف والمحاورات ، اقول على الرغم من ذلك كله ، يجد القارىء نفسه تجاه افاق رحيبة ، نيرة ، خيرة .

وكان علي ان ابدأ بعرض محتويات هذا الكتاب ، لاقيم الدليل على صحة ملاحظتي هذه ، غير اني فضلت ان اعطي القارىء الانطباع العام اولا ، وله ان يغوص في التفاصيل .

واليك اهم هذه الافاق التي يصعب أن تلجها من خلال كتاب اخر :

١ ـ السعادة العائلية ، وهذه مبسوطة في الكتاب كله ، وبها يبدأ في

حوار عنوانه « الجنة الصغيرة » ، ٢ ـ المال يضلل ، ٣ ـ الحياة محبة ، ٤ ـ الصفار والحرب ، ٥ ـ العبادة ... جهاد ، ٦ ـ لمن الجمال، ٧ ـ مع المستقبل .

تلك هي اهم الموضوعات التربوية التي جرى الحوار حولها بين اب وابنته . واحسب ان بقية الاحاديث ، وعددها ستة عشر ، تفصيلات فرعية وعرض ملون للافكار الواردة في هذه المحاورات السبع .

واذا كانت الخطوط الكبرى للافكار المعروضة ، صحيحة وقويمة ، فان في بعض التفصيلات « الساهية » ، اي تلك التي وردت سهوا على قلم المؤلف ، ما يشكل خطرا على تكوين العقول ، وتركيز المفاهيم، ولدى الصغار خاصة . فانت تجد آلاب في حديث « الحياة محبة » يلقي في روع محاورته ، هذه الفكرة مثلا : « ولكن الانسان ظالم يا صغيرتي ... الانسان القوي ... » .

ان من الصواب ان نطلع الصغار على الواقع ، وان نحاول((افهامهم)) اسرار الواقع ، وليس من الصواب في شيء ان نودع قلوبهم واذهانهم افكارا عامة ، غائمة ، ضبابية ، كأن نحملهم على الاعتقاد بأن الانسان القوي ظالم ، ثم ننصحهم في الوقت نفسه ان يكونوا اقوياء ، فكأننا نوجههم حينذاك ـ ونحن لا نشعر ـ ان يكونوا ظالمين !

الصواب ان نحملهم على اعمال الفكر في كل شيء ، وحادث ، ومطلب ، وموقف ، على ان تكون الغاية الاخيرة شريفة ، والوسائل التي تستعمل في بلوغها شريفة . ومتى تعود الصغير على التفكير ، وترسخ شيئا فشيئا في مبدأ الشرف (الصدق) اصبح مسلحا تسليحا عقليا واخلاقيا، واصبح في مستطاعه ان يقاوم الشرور، ويخوض معركة الحياة.

وفائدة هذا الكتاب ليست فيما يلقي من افكار ، وانما تكمن على الاخص ، فيما يثير من افكار ، ويخلق من اجواء . واذا كان المؤلف يرتطم في بعض التفاصيل ، فليس مرد ذلك الى « اضطراب » في المفاهيم لديه ، وانما الحرج كله انه يجول في مدى ضيق ، جد ضيق، على فكر (جمع فكرة) تحتاج كل واحدة منها الى مجلد طويل ، ويخوض مع الصغار احاديث هي من شأن الواعين الناضجين ، كما يتضح من « الكلمات » التي يستعملها ، والصور التي يستخدمها ، في معظم الحالات ، لا كلها .

وانا اتمنى على المعلمين والمعلمات خاصة ، ان يأخذوا في دراسة هذا الكتاب ويتملوا جيدا من افاقه واجوائه ، فانهم واجدون فيه لا محالة ، ما يصح ان يخدمهم ، ويحدوهم على اعادة النظر في طرائقهم التربوية ، واتجاهاتهم الفكرية في العمل الذي يؤدونه .

وما ذلك لعمري ، بالشيء القليل .

عبد اللطيف شرارة

القط

للشاعر كناري

دار النشر للجميع ـ القاهرة

★★★

في رواية « العصفور الازرق » لشاعر الرومانسية البلجيكي « موريس مينرلنك » تقابلنا الهرة السوداء ، رمزا للشر ، كما ان العصفور الازرق يرمز فيها الى السعادة . ويبدو ان المؤلف يجد فيما بين القطط والعصافير من العداوة الغريزية ، تجسيما لما استقر في عقله الباطن من تبرم بجنس السنانير ، وانهام لها بتكدير صفو البيوت ، وتنغيص السعادة على اهلها .

هذه النظرة للقطط ... هذه النظرة المتجهمة المكشرة عن انيابها ، المبرزة لمخالبها ... لا تكاد تطالعنا حتى نتذكر نقيضا لها في نظرة الفراعنة الى نفس هذا الحيوان . كانت الهرة عندهم مقدسة معبودة.. كانت ربة البهجة والفرح والرقص والموسيقى .. وتمثالها المحفوظ في متحف برلين يظهر لنا في ثوب قشيب مطرز ، من ثياب الحفلات،تمسك بيدها اليمنى صناجات الرقص ، من النوع الذي يسميه «شخشيخة» . وقد تدلت من ذراعها الايسر سلة تشبه حقائب السهرة التي تحملها اشد الحسان اناقة في عالمنا الحديث ، وعلى كفها قناع الهة اخرى من نفس الفصيلة الاسدية ، لكنها رهيبة ، مخيفة ، قاسية ، هي الالهة « سخت » ـ اللبوة ـ التي ما يزال المصريون ينتشاءمون بها الى الان . وكأن الهرة المرحة الوديعة تقول لنا بهذا القناع : حذار ! ثم حذار ! فانا استطيع ان اكون مثلها عند اللزوم ... هذه هي الالهة « بست » الفرعونية التي يزعم كثير من الباحثين أن اسمها هو اصل الصوت الذي تنادى به القطط عندما نصيح بها : بس ... بس ...

وبين الفراعنة والشاعر الروائي ميترلنك تمر ازمان وازمان،تعرف فيها القطط الرفع والخفض ، والعز والذل ، باكثر مما عرف الانسان ، فالمثل العامي التركي يجعلها صورة مجسمة للمنافق ! اذ يقولون عنه « فلان كالقطط كثير التلاوة والتسبيح ، قليل الذمة والدين ! » يلاحظون في ذلك تلك القرقرة التي تهمهم بها القطط اذا ربضت ولزمت الهدوء والسكينة . اما اديب العرب الاكبر ، ابو عمرو الجاحظ ، فقد انبرى للدفاع عن القطط في كتاب «الحيوان» حتى قال انها من بين العجماوات جميعا ، اقرب الخلق الى الانسان ، واقدر على اخراج الاصوات وتنويعها ، بما يمكن ان يكون لغة وتعبيرا . ثم يقول « ومتى احببت ان تعرف ذلك فتسمع تجاوب السنانير ،.وتوعد بعضها لبعض في جوف الليل . ثم احص ما تسمعه ، وتتبعه ، وتوقف عنده ، فانك ترى من عدد الحروف ما ان كان بها من الحاجات والعقول والاستطاعات ، ثم الفتها ، صارت لغة صالحة الموضع ، متوسطة الحال . » ثم تستهويه المقارنة بين القطط والناس ، وملاحظة التشابه العجيب بينها وبينهم الى ان يقول « والسنور يناسب الانسان باسباب : منها انه يعطس ، ومنها انه يتثاءب ، ومنها انه يتمطى ، ويغسل وجهه وعينيه ... » الخ.

واذكر انني وانا في باريس ، زرت المقبرة الخاصة بالحيوانات الاليفة في مقابر « بير لاشيز » ، فوجدت على شواهد قبور القطط ايات من الفن والحنان خيل الي معها ان تلك الشواهد ان هي الا دموع تحجرت على الجثث الرقيقة الصغيرة ، التي انطوت مع انطوائها ، ايام وليال من الانس والمرح ، في بيوت وثيرة قرب نار المدفأة .

جال كل ذلك بخاطري ، وانا انظر الى عنوان هذه المجموعة من القصائد التي كتبها صديقي « كناري » عن « القط » . وابتسمت وانا المح تحت اسم هذا الحيوان عبارة « شعر انساني » ... طبعا هو انساني اذا نظرنا الى قائله ... بل انساني كذلك اذا نظرنا الى من قيل فيه بنفس النظرة التي انتهجها الجاحظ ... بل انساني فيما الصقه به « ميترلنك » من شر ، وما آتهمه به الترك من نفاق ، وما سال عليه في باريس من دموع ، وهو انساني وزيادة في اساطير اسلافنا قدماء المصريين .

واذا كان « كناري » يبدو حزينا متشائما في هذا الديوان الصغير، فذلك لان القطط عادة اقصر عمرا من الانسان ، وانه في حياته ، التي

★ مقدمة ديوان « القط » للشاعر « كناري » ، الذي يصدر قريبا عن « دار النشر للجميع » .

مكتبة عبدالقيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا احدث المطبوعات العربية ، وكذلك مجلة الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .

نرجو ان تكون سعيدة مديدة ، قد شهد مصرع اكثر من واحد من اصدقائه اولئك اتصفار الاوفياء ، بعد ان ارتبط قلبه بهم ، وصاحبوه على السراء والضراء ، وعلى الخير والشر على السواء .

وهذا الديوان ـ في ابعاده الصغيرة التي يظهر بها ـ يحترم القارىء ـ ويتقي أن يطول به الشعر ويطول حول موضوع واحد ، بعد ان اثبتت تجارب الادب ان رثاء الخنساء في صخر ، ومدح المتنبي في سيف الدولة ، ووصف ابن هاني للحرب والضرب ، مهما بلغت من الفن ، فانها بالالحاح والتكرار والاطالة والاعادة ، تورث التبرم ، ولا يطيقها الا من وطن النفس عليها من الدارسين والباحثين . لهذا ـ فيما اعتقد ـ كان صغر المجموعة التي يطالعنا بها كناري اليوم خطة حصيفة نعيش بها تجاربه « السنورية » دون ملل او سآمة ، حتى من كان منا يكره القطط ، ولا يصبر على رؤيتها الا مصورة في لوحة فنية او قطعة من شعر ... من شعر « كناري » او غيره ... والذين قالوا في القط شعرا ونثرا كثيرون ، بالعربية وغيرها من اللغات ، ومن احدث ما نعرف من ذلك كتاب ظهر بالفرنسية بعنوان « صاحب الجلالة القط » . كما ان من اقدم ما نعرف قصيدة ابي بكر بن العلاف الضرير المتوفي عام ٣١٨ هجرية في رثاء القط ومطلعها :

يا هر . فارقتنا . ولم تعد وكنت عندي بمنزل الولد !

وهي مرثية طويلة جدا ، بلغت من الاهمية حدا جعل الناس يشكون في انها قيلت حقيقة في قط . وذهب ببعضهم الظن الى ان ابن العلاف يرثي بها عبد الله بن المعتز ، ونسبها الى الهر حتى لا يجر على نفسه نقمة الخليفة الجديد ـ المقتدر بالله ـ قاتل ابن المعتز ، كما قال اخرون انه بكى بها الوزير ابن الفرات ، عندما غضب عليه الخليفة ونكل به ، بل لقد قيل ان الهر في القصيدة هو عبد كان للشاعر يقربه ويعزه ، وان هذا العبد احب جارية للامير علي بن عيسى بادلته غرامه ، فلما علم الامير امر بهما فقتلا ، وفرغت جلودهما وحشيت تبنا ، وهكذا بكى ابن العلاف غلامه تحت ستار الهر !

والذين يرون ان الهر هنا غطاء لشخصية ادمية يخشى الشاعر التصريح بها في رثائه ، يعتمدون على بعض اشارات وردت في سياق القصيدة مثل :

فحين اخفرت وانهمكت وكاشفت واسرفت غير مقتصد
صادوك غيظا عليك وانتقموا منك ، وزادوا ، ومن يصد ، يُصَد

***

فما سمعنا بمثل موتك اذ مت ، ولا مثل عيشك النكد
عشت حريصا ، يقوده طمع ومت ذا فائل ، بلا قود
يا من لذيذ الفراخ اوقعه ويحك . هلا قنعت بالعدد
الم تخف وثبة الزمان وقد وثبت في البرج ، وثبة الاسد
عاقبة الظلم لا تنام وان تاخرت مدة من المدد

اما صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، فانه يعلق على القصيدة وما تضارب حولها من اراء بقوله : « وانا شديد التعجب ممن يزعم ان هذه القصيدة رثي بها غير هر ! » .

والان ـ تحت تاثير الخلاف القائم حول قصيدة ابن العلاف ـ نجد انفسنا امام سؤال لا محيص عنه : ماذا يخفي « كناري » وراء ما يسبغه على القط من اعزاز وحب ووفاء ؟ .. ويقفز عندئذ الى الذاكرة بيت ابي الطيب المتنبي في كافور الاخشيدي ، وهو يعتذر عما سبق له من مدحه:

وما كان شعري مدحا له ولكنه كان هجو الورى

نعم ... ان « كناري » يمجد القط ، ليخسأ بعض بني ادم ممن لم يصلوا في جمال النفس الى مرتبة هذا الحيوان ... ومع ذلك فهو بلا شك وكما يقول صاحبه ... شعر انساني .

القاهرة — حسن ظاظا

فقه الامام جعفر الصادق

بقلم الشيخ محمد جواد مغنية

ستة اجزاء ـ منشورات دار العلم للملايين ، بيروت

***

الشيخ محمد جواد مغنية في علمه ووطنيته واخلاقه هو علم من أعلام العرب والمسلمين في هذا العصر ، وهو مثل صارخ لما يمكن ان يصل الاخلاص بصاحبه ، اذا كان هذا الاخلاص هو الرائد الاول والاخير !..

وفي حياة الشيخ محمد جواد وتطور هذه الحياة صفحات خالدة يصح ان تكون نماذج نعرض على طلابنا وشبابنا لتكون نبراسا لهم في طريق الكفاح المرير . فهذا الرجل بالرغم من ان بيئته وأسرته في الصدارة من المجتمع العاملي ، عانى ظروفا قاسية في مطلع حياته كان يوم واحد منها كافيا ليهد اقوى العزائم ، ولكن عزيمة ذاك اليافع المكافح كانت من الصلابة بحيث تغلبت على القوى المناوئة عليها !.. وحين نتساءل عن السر في انه استطاع ان يتجاوز ظروفه القاسية وان يتغلب على ما مر به ، وكيف ان من كانوا في ظروف افضل من ظروفه ، ومن هيأت لهم الاقدار كل وسائل النجاح ، لم ينجحوا !.. حين نتساءل عن السر في ذلك يكون الجواب هو : الاخلاص ، فلقد اخلص الشيخ محمد جواد لفكرته منذ تفتح ذهنه على الحياة ، وصمم على ان يكون طالبا نجيبا ناجحا فكان له ما اراد ، ثم صمم على ان يكون عالما ناجحا ثم مصلحا ناجحا ثم قاضيا ناجحا فكان له جميع ما اراد . وبلغ في القضاء ذروته ماشيا اليها بخطى ثابتة ولكنه اصطدم بمن يريدونه عونا على الباطل ! ووقف بين اثنين لا ثالث لهما : اما ان يتبنى الباطل ويحميه ، واما ان يتخلى عن المنصب الرفيع !.. والشيخ جواد في هذه المواقف لا يتردد لحظة واحدة ، وسخر ممن ساوموه ، واصر على الاخذ بجانب الحق وضحى بالمركز الرسمي . وحسب المبطلون انه كان الخاسر ! وما دروا انهم كانوا بذلك يشقون له بانفسهم طريقا واضحا الصوى رحب الجوانب ! وهذا انطلق الشيخ مرسلا نفسه على سجيتها ، فاخذ القلم وعكف على الكتاب ، فاذا به يطلع على دنيا العرب والاسلام بدراسات وبحوث وكتب يتجلى فيها صفاء نفسه وتوقد ذهنه وتفتح فكره ، واذا بالاخلاص الذي اتخذه دليلا في الحياة يظل الدليل الذي لا يحور ولا يجور ، واذا هو يمشي به اتى حيث اوصله الى هذا الكتاب الجديد (فقه الامام جعفر الصادق) في اجزائه الستة . فكان فتحا اي فتح في ميدان التاليف الاسلامي .

ولا يمكن ان يدرك حقيقة ما انتجه المؤلف الا الذين يعرفون جوهر الفقه الشيعي الذي حمل اسم (جعفر الصادق) ، وما في هذا الفقه من دراسات عميقه هي حصيلة قرون طويلة تفرغ فيها مجتهدو الشيعة للبحث العلمي المحض فخرجوا بنتائج جليلة ، ولكنها لا تزال دفينة الكتب الصفراء ، لا يستطيع الوصول اليها الا خاصة الخاصة . وسبب ذلك كما ذكر المؤلف في مقدمته « ان هذا الكتاب وضع لمن لا يعرف شيئا من فقه الامام الصادق وفي الوقت نفسه يرغب في معرفته والالمام به ولكنه لا يجد السبيل الى هذه المعرفة لانعدام المصادر او قلتها ولا لانها تحوي من الدقائق والمصطلحات الاصولية والفقهية ما يرتفع عن مستوى ادراكه ـ وان صح هذا بالقياس الى كثير ـ بل للعبارة الغامضة والاسلوب المعقد او لعدم الترتيب والتبويب وسوء الاخراج او للتطويل والاطناب والتبسط في نقل الاقوال والاختلافات التي هي ابعد شيء عن تفكيره واسلوب ثقافته الى غير ذلك مما لم يالف ويعتد ولا يجذب اليه القارىء العصري وان احب وأراد » .

هذا الواقع الذي عبر عنه المؤلف في جملته هذه التي وردت في المقدمة هو الذي حال بين الناس وبين الاطلاع على ما يريدون الاطلاع عليه من شؤون هذا الفقه ، بل هو الذي حال بين من يريدون الكتابة في هذا الموضوع وبين تنفيذ ذلك ، اذ كانوا يتهيبون الدخول في هذه

الابواب التي لا يدرون الى اين ستصل بهم .

ولكن الشيخ محمد جواد لم يتهيب واقدم واثقا من نفسه مطمئنا الى نتيجة عمله ، ويهمنا هنا ان نعلم ما اذا كان قد وفق في الوصول الى الغاية .

لا بد قبل الجواب على هذا التساؤل من ان نرى المنهج الذي اختطه لنفسه ، وقد اعرب عنه بقوله :

« ... وحرصت كل الحرص على ان يكون الاصل ومرجع الاستنباط النص عن اهل البيت بالذات » . ثم يقول : « واذا لم يسعفني النص الخاص من الكتاب وآثار الآل لجأت الى قاعدة اعتمدها فقهاؤهم ، حيث يردون كل أصل وقاعدة الى القرآن الكريم والائمة الاطهار » .

هذا المنهج كان المؤلف أمينا عليه فمشى في ضوئه في البحث والتنقيب والعرض ، ثم كان له من بيانه ما جعل القارىء يستعذب الاستزادة من القراءة ويوغل في الاستطلاع لا تقف امامه عبارة مغلقة أو رأي معقد .

لقد استعرض المؤلف ابواب الفقه بابا بابا فبدأ بباب الطهارة وانتهى بباب الاجتهاد في ستة مجلدات يصح أن تسمى (موسوعة الفقه الشيعي) كان له فيها من الاراء الصائبة والحلول الصحيحة لا سيما في بعض ما استحدثته الازمان الراهنة من مواضيع واوضاع ، ما يرتفع به الى أعلى ذروة في الفقه والفقهاء .

لقد عالج مثلا قضية اثبات رؤية الهلال في اول رمضان واخره وفي اول ذي الحجة وما يترتب على ذلك من نتائج مؤذية تجعل منها احيانا مهزلة اكثر من اي شيء اخر .

هذا الامر الذي طالما تساءل الناس عن نهايته اوضح المؤلف حقيقته على الشكل الاتي : صم للرؤية وافطر للرؤية هو المعول عليه ، والمقصود بالرؤية في رأيه هو الاعتقاد يقينا بدخول الشهر ، فاذا اعتقدنا ذلك عن طريق العلم كان علينا الاخذ به ، « اذا جاز الركون الى البنية المفيدة للظن فبالاولى ان يجوز العمل بالعلم ، بل هو المتعين مع امكانه ، وعليه فمتى حصل العلم من اقوال الفلكيين وجب على كل من علم بصدقهم ان يعمل باقوالهم » .

وعالج كذلك قضية الاوراق النقدية التي لم تكن معروفة في السابق والتي حار الفقهاء المحدثون في امرها بشأن الزكاة بعد ان استندوا الى نص الحديث القائل بانها في النقدين : الذهب والفضة .

والعملة الورقية ليست ذهبا ولا فضة . ولكن المؤلف اكد بان (النقدين) في كلام اهل البيت اخذا وسيلة لا غاية حيث كانا العملة الوحيدة في ذلك العهد .

وهنا استدرك على من يمكن ان يعترض بان مذهب اهل البيت لا يقول بالقياس ، وانه هو يقيس النقد الورقي على الذهب والفضة ، فرد سلفا على من يمكن ان يورد عليه هذا الاعتراض فقال : « وليس هذا من باب القياس ، لان القياس مأخوذ في مفهومه وحقيقته ان تكون العلة المستنبطة مظنونة لا معلومة ، ونحن هنا نعلم ان علة الزكاة في النقدين موجودة بالذات في الورق لا مظنونة فتكون كالعلة المنصوصة او اقوى » .

انه من الصعب جدا ان نحاول الاستشهاد باقوال المؤلف او ان نلخص شيئا من الكتاب لانك ستحار فيما تأخذ وتترك ، حيث ان الكتاب وحدة متماسكة تبدأ على مستوى عال وتظل هكذا حتى نهايتها .

ولا اعرف شيئا يمكن ان ننصح به طلاب المعرفة ورواد العلم خيرا من ان نشير عليهم بان يقرأوا هذا الكتاب من الدفة الى الدفة . فانهم واجدون فيه ما يحبون .

حسن الامين

صدر حديثا :

أدب المقاومة في فلسطين المحتلة

١٩٤٨ - ١٩٦٦

تأليف

الكاتب العربي الكبير

غسان كنفاني

دراسة مسهبة عن نتاج الادباء العرب ، من شعراء وقصصين ، في الارض المحتلة مع نماذج كثيرة من شعرهم تنشر لاول مرة .

كتاب هام يشير الى نضال ادبائنا في فلسطين ضد الظلم والاغتصاب والجريمة .

الثمن ٢٥٠ ق. ل

منشورات دار الاداب